اللهم إني أصبحت أُشهدك وأُشهد حملة عرشك

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ؛ أَعْتَقَ اللهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ»[1].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٠١)، وأبو داود رقم (٥٠٦٩) وابن السني رقم (٧)، والحاكم برقم (١٩٢٠) وصححه ووافقه الذهبي. وَحَسَّنَ إسناده سماحة الشيخ ابن باز في تحفة الأخيار.

المعنى العام للذكر

اللهم[١]: **يا مَن له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، يا واحد يا أحد، يا صمد، يا حي يا قيوم يا الله.**

أصبحت أشهدك: أَعْتَرِفُ لك بالوحدانية، وأجعلُكَ شاهدًا على قولي واعترافي.

وأُشهد حملة عرشك: وأجعل ملائكتك المُقَرَّبِينَ من حضرتك شهودًا على إقراري وشهادتي واعترافي.

وملائكتك: هذا تعميم بعد تخصيص، فيا الله أُشْهِدُ كلّ ملائكتك على شهادتي، وإعلاني بأنه لا إله إلا أنت.

وجميع خلقك: هنا عطف العام على الخاص. فيا الله أشهد جميع الخلق على اعترافي بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولك.

وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: اليقين بعظمة الذكر وسمو الأجر:

إن الثقة في وعد النبي ﷺ لمن قال هذا الذكر أمر ضروري كي تُقْبِلَ على ذكرك بهمة قلب، وتدبر عقل، وحضور جوارح، وهنيئًا لك النجاة من النار.

* **ومما يقوي يقينك: فيه شفاء للناس:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا أتي النبي ﷺ فقال: «أَخِي يَشْتَكِي

(١) سبق تفصيل القول عن هذه الصيغة في أكثر من حديث في هذا الكتاب.

بَطْنَهُ. فَقَالَ ﷺ: **اسْقِهِ عَسَلًا**. ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ ﷺ: **اسْقِهِ عَسَلًا**. ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: فَعَلْتُ. فَقَالَ ﷺ: **صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا**». فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[(١)].

انظر -حفظك الله- كيف أن هذا المريض لم ينتفع بالدواء الذي وصفه رسول الله ﷺ إلا بعد أن أيْقَنَ بصدق الله ﷻ وكَذَّبَ بطنه، فكأن رسول الله ﷺ وصف له دواءَيْن:

أولهما: روحي وهو اليقين.

وثانيهما: مادي وهو العسل، فمن أغفل أحدهما دام مرضه واستحال شفاؤه[(٢)].

* **يقين الصديق** رضي الله عنه:

ارتَدَّ ناس ممن كانوا آمنوا بالنبي ﷺ، وسعوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا له: هل لك في صاحبك يَزْعُمُ أنه أُسْرِيَ به الليلة إلى بيت المقدس؟! فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن كان قال ذلك لقد صدق، فقالوا: قد صدقته أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصْبِحَ؟! قال: نعم إني لأُصَدِّقُه مما هو أبعد من ذلك أُصَدِّقُه في خبر السماء في غدوة أو روحة[(٣)].

حقا: لم يسبقنا أبو بكر رضي الله عنه بصلاة ولا بصيام وإنما سبقنا بشيء وقر في صدره.. اسمه (اليقين).

---

(١) متفق عليه، وانظر اللؤلؤ والمرجان (١٤٣٢).

(٢) رحلة البحث عن اليقين، خالد أبو شادي، ص٤٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤٣٨١) وصححه.

فله عشر أمثالها:

* وقف سائل على باب أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب ﷺ) فقال للحسن أو الحسين: اذهب إلى أمك فقل لها: تركت عندك ستة دراهم فهات منها درهمًا، فذهب ثم رجع فقال: قالت: إنما تركت ستة دراهم للدقيق، فقال علي: لا يصدقُ إيمانُ عبد حتى يكونَ بما في يد الله أوثق منه بما في يده. قل لها: ابعثي بالستة دراهم، فبعثت به إليه فدفعها إلى السائل. قال: فما حلّ حبوته حتى مرّ به رجل معه جمل يبيعه، فقال علي: بكم الجمل؟ قال: بمائة وأربعين درهما، فقال (عليّ): اعقله على أن نؤخّرك بثمنه شيئًا، فعقله الرجل ومضى، ثم أقبل رجل فقال: لمن هذا البعير؟ فقال علي: لي، فقال: أتبيعه؟ قال: نعم. قال: بكم؟ قال: بمائتي درهم. قال: قد ابتعته. قال: فأخذ البعير وأعطاه المائتين، فأعطى الرجل الذي أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهمًا، وجاء بستين درهما إلى فاطمة ﷺ، فقالت: ما هذا؟! قال: هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ﷺ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﷺ﴾ [الأنعام][1].

عشرون يغلبون مائتين:

* عن أبي عبد الله مردنيش المغربي أنه أغار يومًا فغنم غنائم كثيرة، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس، فقال لأصحابه وكانوا ثلاث مئة فارس: ما ترون؟ فقالوا: نشغلهم بترك الغنيمة قال: ألم يقل ربنا: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

فقال أصحابه: الله قال هذا؟ فقال: الله يقول هذا وتقعدون عن لقائهم!!

(١) حياة الصحابة، للكاندهلوي (٢/ ٢٨٠).

قال: فثبتوا فهزموا الروم[١].

وقفة تدبر

الإعجاز الرقمي:

* أرشدنا النبي ﷺ إلى قول هذا الذكر (أربع مرات) ورتّبَ على ذلك العتق من النار.. لماذا؟ لأنك أشهدتِ أربعًا على إقرارك: (اللّه - حملة العرش - الملائكة - جميع الخلق)، فناسب ذلك أن يعتق الله بكل شاهد ربع العبد وتأمل عبد يُهْدَرُ دمه إذا شهد عليه أربعة شهداء في الزنا، وهنا عبد يُحْفَظُ دمه ويُصَانُ جسده بشهادة أربعة على إيمانه وتوحيده!!

وقيل لأن هذه الكلمات الأربع حروفها (٣٦٠) حرفًا، وابن آدم مركب من (٣٦٠) عضوًا، فالمولى سبحانه أعتق بكل حرف منه عضوًا من أعضائه.

وقيل لو زدنا «وحدك لا شريك لك» ستكون كلماته أربعة وعشرين كعدد ساعات اليوم، فتصبح كل كلمة مكفرة لكل ذنب جناه العبد في كل ساعة[٢].

* وهذا العدد يذكرنا برؤوس الشر، والضلال «النفس- الهوى- الدنيا- الشيطان».

الوقفة الثانية: كفى به شهيدًا:

* استحضر عظمة مَنْ أشهدته: إنه (اللّه) ﷻ وكفى به شهيدًا، والإشهاد ليس مجرد إقرار، أو عقيدة في القلب ولكنه إعلان حياة واتباع صدق وسلوك

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٠/ ٢٣٣).

(٢) الفتوحات الربانية، لابن علان البكري (١/ ٦٩٠) وما بعدها.

خير وما هو إلا عقد بيعة مع الله ﷻ ولن يُؤدي هذا الإشهاد دوره في الحياة حتى يُصبح العبد نفسه وسلوكه وحياته صورةً حية لما شهد به واعترف.

* وتدبر صيغة المخاطب (أُشهدك): لأن من مقتضيات الإيمان، ومستلزمات الشهادة أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من نفسه وأهله وبدنه، ومن كان له هذا الحب في القلب فمن المنطِقِيِّ أن يكون موجودًا لا يغيب لحظة كقول القائل:

مِثالُك في عيني وذكْرُك فِي فَمِي ومثْوَاكَ في قَلبي فأينَ تغيبُ؟[1]

وتأمل حالك، فكثيرًا ما يضطرب قلبك لذكر غائبٍ عنك بشخصه لكنه مستولٍ على قلبك بجميل الذكر، وحسن العهد، وعلى نقيض ذلك كثيرًا ما تأنف وتغضب من رؤية مَنْ هو معك ليل نهار، لأنه عنك بعيد، ومن قلبك مطرود. فلِكَمَالِ القُرْب الروحي والحب القلبي تأتي المخاطبة.

❁ ❁ ❁

الوقفة الثالثة: وأشهد حملة عرشك:

اعلم أن العرش أول المخلوقات، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما[2]، ولقد خلقه الله بيده قال ابن عمر ﷺ «خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، القلم، وآدم، وجنة عدن، ثم قال لسائر الخلق كن فكان[3]. وهو من ياقوتة حمراء كما قال قتادة[4].

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٤١٨).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٨/ ٢١٣).

(٣) أخرجه الحاكم برقم (٣٢٤٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في مختصر العلو (١/ ٧٥).

(٤) العلو للعلي الغفار، للحافظ الذهبي، ص٧١.

* **والعرش خلقه عظيم:** قال رسول الله ﷺ: **ما السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيّ إلا كَحلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بأَرْضٍ فَلاةٍ، وَفَضْلُ العَرْشِ على الكُرسيّ كَفَضلِ تلكَ الفَلاةِ على تِلكَ الحَلقةِ**[(١)].

* **والعرشَ فوق الماء:**

قال ابن مسعود رضي الله عنه: العرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم[(٢)].

هذا هو العرش: أعظم المخلوقات، ومحيط بالسموات، ومن فوقه رب الكائنات، مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله سبحانه فما ظنك بالملائكة التي تحمله؟!

قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر].

* وقال ﷺ: **«أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من حملة العرش رجلَاه في الأرض السفلى، وعلى قَرْنِهِ العَرشُ وبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيهِ وعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيثُ كُنْتَ»**[(٣)].

مسألة: لعلك تسأل لماذا الملائكة عامة، وحملة العرش خاصة؟

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٩).

(٢) العلو للعلي الغفار، للذهبي، ص٦٠، وسنده جيد كما قال الألباني في مختصر العلو، ص١٠٤.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٦٩١) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٥٠) وصحيح الجامع برقم (٨٥٣).

* لأنهم خلق نوراني خاضع لله ﷻ، وبذكره منشغل، وبتسبيحه منطلق.

* لأنهم أفضل من البشر لطاعتهم المولى ﷻ.

* لأنهم الأعرف بعظمة الخالق سبحانه والأقرب لكرسيه وعرشه.

* لأنهم أهل صدق، وأرباب عدل، وأصحاب طاعة، فقل لي باللّه عليك مَنْ يعدلهم في الشهادة؟ مَنْ يُدانيهم منزلةً وقدرًا؟

⁂ ⁂ ⁂

الوقفة الرابعة: جلال التوحيد:

استشعر روعة التوحيد، وسمو أجره، فأنت أشهدت المولى سبحانه، وملائكته وحملة عرشه على عظيم ما تعتقد، وأسمى ما تُؤمن وهو توحيده سبحانه. «لا إله إلا أنت» لا معبود بحق سواك، وكل ما يُعبد غيرك باطل، وأن محمدًا عبدك ورسولك: هنا يصرح ﷺ بالاسم العَلَم ليكرر قوله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وليدفع أدنى شك عن الاسم الذي وجبت له الشهادة بعد شهادة الألوهية.

⁂ ⁂ ⁂

تصحيح فهم

اعلم أن شهادتك هذه معنى تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واتباع شريعته فيما أوضح وفَصّل، ولا يتمُّ الإيمانُ بهذا النبي حتى تعلمَ يقينًا أن جميعَ ما جاء به حق، وأن مَنْ أنكرَ رسالته، أو هَدْيه فقد طعن في المرسِل وهو الله .

واليوم: قد قَصَرَ البعض هذه الشهادة على محبته ﷺ والتي لا تتعدىَ الحناجر، ولكن الناظر في أحوال المسلمين يجد ما يُحزن القلب من البُعْد عن هديه ﷺ فأين نحن من عبادته وصلاته، وذكره وقيامه، وخلقه وإحسانه ودعوته وجهاده وغزواته؟

اليوم تُناديك صلاتَه، ويُنَهِّضُكَ خضوعُه وتستثيرك عبادته.

أو لا تتدبر قوله ﷺ وأن محمدًا عبدك ورسولك؟

فهو عبد اللّه، وفي ذلك رد على الصوفية والغلاة الذين تجاوزوا في مقامه ﷺ حتى رفعه البعض إلى مقام الربوبيةِ والألوهية فاستَغاثوا به، ونادوه، وشَكَوْا إليه الضُر والكرب.

وما كانت رسالته ﷺ إلا لنبذ الشرك، وما دعوته إلا لتوحيد المُرسِل ونفي الكفر والشرك بكل سبلها كي لا يُعبد إلا الله وحده لا شريك له.

فديننا مداره على توحيدين: توحيد المُرسِل ﷻ وتوحيد المُرسَل ﷺ وذلك باتباعه وامتثال أمره، وهديه.

❁ ❁ ❁

شجرة أفقه منك

* ألا يهزك حديث الشجرة؟ جاء أعرابي إلى الرسول ﷺ وهو في سَفَرٍ فَدَعَاه ﷺ للإسلام فقال الأعرابي ومَنْ يشهدُ لك على ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ: هذه «السَّلمة» فدعاها رسول الله وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخُدّ الأرض خدًا حتى كانت بين يديه، فأشهدها ثلاثًا، فشهدت ثلاثًا أنه كما

قال، ثم رجعت إلى منبتها[١].

* ألا يحركك الثمر؟: جاء أعرابي للرسول ﷺ وسأله: بم أعرف أنك نبي؟ قال ﷺ: «إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. فدعاهُ رسُول الله ﷺ فَجَعَلَ يَنْزِلُ من النَّخلَة حتى سقط إلى النّبي ﷺ ثُمَّ قال: ارْجِعْ. فعَادَ فَأسْلم الأعرابي»[٢].

العتق من النار

* ما أعظم كرم المولى سبحانه، يُعْطِي الكثير على القليل فضلًا منه وكرمًا.

* النجاة من النار: جعلها النبي ثوابًا لمن قال هذا الذكر لما فيه من استحضار لعبادة الخوف من الله، ودفعًا إلى إيثار الآخرة وأعمالها، وما عند اللّه خير وأبقى، ومحاربة لنوازع الكسل في نفسك، والوساوس من شيطانك، والشر من أقرانك، القبح من شهواتك، وعلاجًا لقسوة قلبك، وتمرد جوارحك، وهمود مشاعرك.

فالمبادرة المباردة إلى الصالحات، قبل السوق إلى الدار الآخرة، وهناك الاستقرار إما إلى جنة وإما إلى نار.

---

(١) السلمة: شجرة من شجر البادية، تخد الأرض: تشقها أخدودًا. الحديث رواه الدارمي (١٦) بسند صحيح، انظر مشكاة المصابيح (٥٩٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٦٢٨) والحاكم برقم (٤٢٣٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٥٩٢٦).

ولكن مهلًا: بسط لك الحقيقة أحمد بن حرب في كلمات جوامع: مَنْ يعرف أن الجنة تُزَيّنُ فوقه، والنار تَسَعر تحته كيف ينامُ بينهما[١].

وأرسلها لك **علي** رضي الله عنه: **ليكن همك ما بعد الموت.**

لَيْسَ السعيدُ الذي دُنْيَاه تُسْعِدُه ... إنّ السعيد الذي ينْجُو من النّار[٢]

فيا أخي: مثل نفسك في زاوية من زوايا جهنم، وأنت تبكي أبدًا، وأبوابها مغلقة، وسقوفها مطبقة وهي سوداء مظلمة لا رفيق تأنس به، ولا صديق تشكو إليه ولا نوم يريح[٣] كيف حالك؟ كيف مقامك؟ تخيل ذلك، وأنقذ نفسك وتدبر قوله ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشقّ تَمْرة، فإنْ لَم تَجِد فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[٤].

ورحم الله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «**إن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب**»[٥].

وأرسلها لك الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه**»[٦].

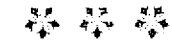

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٤/ ٤١١).

(٢) لطائف المعارف، ابن رجب (٢٣٢).

(٣) المدهش لابن الجوزي (١/ ١٨٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٤٠٠)

(٥) التذكرة، القرطبي (١/ ٤٤٨).

(٦) إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ١٩٤).

فهم مغلوط

إياك أن تعتقد أن الثواب المترتبَ على هذا الذكر منعقد بمجرد تلفظك به وكفى. كلا.

فلا بد من العمل مع القول، ولن تكون صادقًا في إعلانك التوحيد والإيمان برسالة النبي ﷺ حتى تُتَرْجِمُ ذلك إلى عمل صالح.

كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

فهنا أربعة شروط لمن أراد الفلاح فلا نجاة من الخسران ما لم يتوفر لك: إيمان صادق وعمل صالح وتواصٍ بالحق، وتواصٍ بالصبر. فلتترجم ذكرك إلى واقع مشاهد وذلك بأن تكون عبدًا لله وحده، مستسلمًا لأمره، منتهيًا عن نهيه، متبعًا للرسول ﷺ مُحِبًّا لسنته، ملتزمًا بهديه ﷺ.